

مشاهد اوربا

٧

مدينة جنيفا

لم اطل الاقامة في سان مرك نودعتها على عجل ونزلت الى جنيفا اكبر مدائن
سويسرا واجملها واغناها. وهي بنية على طرف بحيرة جنيفا المشهورة بصفاها ماثها وزرقتها
عند صدور نهر الرون منها فيشطرها شطرين. وقد ذكرت هذه المدينة قبل التاريخ
المسيحي وصارت قسبة مملكة برغنديا سنة ٤٣٣ للنسيح ونقلت عليها الشؤون بعد ذلك
الى ان انضمت الى جمهورية سويسرا. ومشاهدها كثيرة وسأوجز في وصف ما شاهدته
منها ولو كانت حرية بكل تطويل

من اشهر هذه المشاهد دار التاريخ الطبيعي في المدرسة الجامعة وهي بناه فسيح في
حديقة غناء في قلب المدينة حتى يسهل على الاهلين مشاهدة ما فيها وهم يتقاطرون اليها
رجالاً ونساء واولاداً من كل الطبقات فيرون فيها وحوش الارض ودوابها وزحافاتنا
وحشراتنا واسماكها وطيورها على اختلاف اجناسها وانواعها وتبايناتها مصيرة واقفة كما
تقف وهي حية. ويرون عظامها مركية بعضها مع بعض في هياكلها. ويرون متحجراتها
الجيولوجية ومتحجرات غيرها من الحيوانات المنقرضة وبالاختصار يرون جميع طوائف
الحيوان من اقدم عهدها الى الآن ويرون ايضا عجائب المهنج الحيوانية التي شئت عن
الشكل العام بزيادة او بنقصان

وهذه الدار مدرسة للتاريخ الطبيعي يتعلم منها الانسان في ساعة ما لا يعلمه من
الكتاب في سنة ويرى فيها عياناً ما لا يراه لو سباح الارض كلها واخاض بحارها واوغل
في قفارها ورفق اعلى جبالها فيرى الغزولاً والاوزانغ اوتان والشميزي والجبون والزرافة
والاسد والبير والتمر والتماح والبواء وثور المسك والرنة والوعل القديم والفظ وما لا
يحصى عدده من انواع الاسماك والطيور والزحافات والحشرات واكثرها مما يندر
وجوده او تعز رؤيته. ويرى ايضا كثيراً من نوادر المتحجرات وعظام كثير من
الحيوانات الكبيرة المنقرضة وانواع المعادن والحجارة الكريمة. وقد تمتت لو انشئت
دار مثل هذه الدار في القاهرة والاسكندرية فان كلاً منها اكبر كثيراً من جنيفا
التي لا يزيد عدد سكانها على ٧٣ الف نفس. لكن اين العلماء الطبيعيون الذين يجمعون

هذه المجاميع ويرتبونها ويهبونها لوطنهم خدمةً لبنيهم وابن الاغنياء الذين يبنون هذه
الدور تجليداً لذكورهم وتعزيزاً لشأن وطنهم
وامام هذه الدار دار أخرى مثلها للمكتبة العمومية فيها مئة مجلد من الكتب المختلفة
وامامها بستان للنبات وهو كدار التاريخ الطبيعي جامع لاجناس النبات وانواعه وتبايناته
مرتبة ومعتمتي بها حتى تنمو وتينع ولا تذوي نضارتها ولو كانت مملاً لا يعيش الا في الاقاليم
الاستوائية الحارة كالنخل والموز . وما يحتاج الى الحرارة منها مزروع في بيوت تحمي
بالبخار . وفي صدر هذا البستان تمثال ده كندول العالم النباقي الشهير الذي انشأه سنة
١٨١٦ والى يمينه تمثال يوسيه العالم النباقي ايضاً وفي واجهة البيت الحار تماثيل ستة من
مشاهير جنيف . وهذا شأن الاوريين فانهم يحبون ذكر علمائهم وعظمائهم ويرفعون انصابتهم
في مجتمعاتهم ومحافلهم

وعلى مقربة من هذه الحديقة دار الصور والتماثيل المهمة متخففات نسبة الى الجنرال
رات الروسي وهو اصلاً من سكان جنيف فانه خدم بلاد الروس بسيفه وبقي قلبه في
وطنه ولذلك وهبت اخناه هذه الدار لمدينة جنيف عملاً بروضته . وفيها الآن ٣٢٦ صورة
كبيرة واثنان وتسعون صورة صغيرة واربعة وثمانون تمثالاً منحوتاً وكلها من عمل
المصورين والنحاتين المشهورين . فان اهل اوري يتنافسون بما رسمته ابرم مشاهير
المصورين ونحنته ازميل النابغين من النقاشين كما كان عرب الجاهلية يتنافسون بالملقات
السبع وافتد اجاد الفريقان لان الشعر والنحت والتصوير من ابداع ما اخترعه ذوو
القرانح الوفاة

ومن الصور الجميلة في هذه الدار صورة تعليم باخس فن الغناء وصورة جبال الالب
ومن التماثيل تمثال قديم للزهرة وجد وبعض اعضائه مكسر فضع له غيرها النحات فيلبو
فراري وتمثال آخر للزهرة منقول عن التمثال المعروف بتمثال فينس ده مديسي وقد بلغ
فيه جمال الجسم الانساني الغاية القصوى . وكان النحات الذي نحت التمثال الاصلي لم
يكتف بتمثيل ما وصل اليه الانسان في عصره من الارتقاء بل اراد ان يمثل ما سيصل
اليه في العصور التالية فزاد في غزارة الشعر وصغر خنصري الرجلين حتى كاد يلاشيها .
ومعلوم ان شعر المرأة سيزيد غزارة بالانتخاب الجنسي حسب مذهب النشوء وخصا
الارجل مستصغر الى ان تزول بقلة الاستعمال
وفي المدينة دار أخرى للتحف والآثار القديمة من صور وتماثيل واسلحة وآنية مختلفة

وتسمى تحف فول نسبة الى منشئها وفيها تحف كثيرة نادرة المثال . وخارج المدينة دار
ثلاثة للمصنوعات القديمة والحديثة من كل ما ابدع الصانع عمله في الحجر والخزف
والحديد والنحاس والفضة والذهب والحديد والحجر الكريمة والصور والكتب وهو
المعروف بمتحف اريانا . وقد أنشأه الموسيوقرفيايو الغني الذي مات في مصر القاهرة
سنة ١٨٩٠ وسماه باسم امه والدار نفسها بديعة البناء فيها قبة قائمة على عمد من المرمر
المجزع مختلفة الاشكال لم ار اجمل منها في كل ما رأيت حتى الآن حتى كأنها دمية محراب
لا بناء للتحف

وفي وسط المدينة مشهد جميل (تياترو) بني بين سنة ١٨٧٢ و ١٨٧٩ وهو صغير
ولكنه بديع النقش والصور والتماثيل يشهد لاهل هذه المدينة بسلامة الذوق والتفان
الفنون . وقد بني فنصل انكلترا الآن داراً فسيحة للموسيقى على مقربة من المشهد طولها
نحو سبعين متراً

قلت ان نهر الرون يمر في المدينة . ومعلوم ان الاوربيين لا يدعون الماء يجري على
مقربة منهم ما لم يتعموا بقوة جريانه وعلى ذلك ترى جانباً كبيراً من ماء هذا النهر قد
حُجز ببناء كبير قبل ان يتجاوز المدينة ووضعت في هذا البناء دواليب كبيرة من نوع
الترين فيديرها بقوة ثلاثة آلاف حصان مع ان انحدار الماء هناك لا يزيد الآن على متر و٦٥ .
ستينترا وهذه القوة العظيمة يستعمل بعضها في رفع الماء الصافي ودفنه الى منازل
الكان ليشربوه وبعضها في رفع الماء غير الصافي ودفنه الى الباطن ليستعمل فيها لادارة
آلاتها بقوة انحداره وهي تدفع ٥٨٣٥ تراً من الماء كل دقيقة من الزمان ويراد ان
يستخدم جانب من هذه القوة لتوليد الكهرباء وانارة المدينة متى انتهى امتياز شركة
الغاز التي تنيرها الآن

وفي المدينة كنائس كثيرة اشهرها الكاتيدرال والكنيسة الروسية والأولى قديمة
بنت سنة ١٠٢٤ ولكنها لا تذكر في جنب كنيسة ميلان والثانية صغيرة جداً وعليها
خمس قباب صغيرة مذهبة وحوماً بيوت كبيرة تطل على المدينة

وفيها منتزهات كثيرة منها الحديقة التي فيها المدرسة الجامعة وبستانها البساتين
والحديقة الانكليزية على شاطئ البحيرة وامامها التمثال الوطني اي تمثال لتجاد جنيف
بسويسرا . وفي هذه الحديقة مشهد فيه قطعة كبيرة من الخشب طولها ٢٦ متراً تمثل
جبال سويسرا والثلج عليها وانهر الجليد تجري منها والبحيرات متوسدة هضابها . وعلى

مقربة من المدرسة الجامعة ميدان فيح ارضه كبساط من السندس محاط بالاشجار من جوانب الاربعة بنزهة فيو الكبار ويلعب الصغار فيتخلصون من السامة التي يجدونها في المدن الكبيرة حيث نقل ساحات اللعب. وفيها منتزهات كثيرة غير هذه. اما عن فخامة المنازل واتساع الشوارع ونفاسة المصنوعات من الذهب والزجاج والخزف فحدث ولا حرج. وصنّاع جنيفا يتباهون بانثان مصنوعاتهم وقد اراني واحد منهم وهو المسير غولي لرشي ساعة صغيرة لا يزيد قطر بناها على العدسة الكبيرة والساعة كلها لا يزيد حجمها على حجم البندقية الصغيرة وهي مرصعة بالحجارة الكريمة وقال هذا ما لا يقدر عليه غيرنا وقد اعجبني اكرامهم لكل رجل نبغ من مدينتهم فترى تماثيل جان جاك روسو منتشرة في اماكن كثيرة لانه ولد في جنيفا وله تماثيل على جزيرة صغيرة في البحيرة وهو جالس على كرسي تحفه كثير من الكتب النخعة ويده الواحدة كتاب فحفه ثم القاه على ركبته وبالاخرى فلم كأنه كان يعلق حاشية على الكتاب ثم اعلق عليه فجلس حيران لا يدري ماذا يكتب. وابلغ من ذلك اكرامهم لدوق برونسويك الذي وهب لمدينتهم عشرين مليوناً من الفرنكات فانهم اقاموا له نصباً بديعاً من الرخام الابيض والاصهب ارتفاعه ٦٦ قدماً وهو مثن الشكل فيه تماثيل كثيرة واقفة تحت قباب قوطية وكان تماثيل الدوق فوقه ركباً على حصانه ولكنهُ انزل عنه حديثاً لخلل اصابه ومن المباني الحديثة دار للبريد وهي من اجمل المباني وابدعها وعلى واجهتها تماثيل الممالك القديمة وفي وسطها تماثيل مصر اقدم الممالك واشهرها. ومكان البريد القديم في غاية من الفخامة لكن يظهر ان اهالي جنيفا من الشعوب التي اعدت الوقوف تأخرًا فتطلب التقدم دواما والارتفاع من الحسن الى الاحسن وهذه علامة الحياة في الامة



ظاهر باريس

لا بد لكل من يسبح في أوروبا من زيارة باريس عاصمة فرنسا بل عاصمة المدينة الحديثة وقد اقتنيت خطوات من تقدمني وقصدتها من جنيفا سمر يوم سبابة مكفهر ووابله منهمر. فسار بنا القطار على ضفة نهر الرون وهو على صفاء مائه كأن ما ينصب فيه من مامل جنيفا ومنازلها لا يقوى على تكديره لسرعة جريانه. والارض حوله خائل كستها يد الطبيعة ابهي الحلى والحلل وتفتت الورق في ادواحيها ولم تتحش البلبل فتذكرت قول ابن سهل حيث قال

الارض قد لبست رداء اخضرا والطلح ينثر في رباهها جوهرها
 هاجت فخلت الزهر كافورا بها وحسبت فيها التراب مسكا اذفرا
 والنهر ما بين الرياض تحاللة سيفا تعلق في نجاد اخضرا
 والطير قد قامت به خطباؤه لم تتخذ الا الاراكة منبرا
 ولما ابعدنا عن جبال الالب واولغنا في سهول فرنسا انشعت السحب كهامة الصيف
 وانجلي وجه السماء وبسطت الغزالة اشعتها على مروج نضرة وآكام تحف بها الكروم
 وحقول حصدت حنطتها وصبرت فيها اكداما . ومررنا بمدن ودساكر لم أع اسماءها
 لكثرتها

ولما دخلت محطة سكة الحديد في جنينا استلم خدامها صندوقين كانا معي واخذنا
 مني عشرة سنتيمات لا غير ولم ارها بعد ذلك الا حينما دخلنا بلاد فرنسا فانني رأيتها على
 مائدة كبيرة مع غيرها من صناديق المسافرين ونظر اليها احد رجال الجمر ك وسألني
 عما اذا كان فيها شيء يدفع عليه رسم فأجبت بالنفي فرقم عليها رقما بالطباشير ولم أرها
 بعد ذلك حتى دخلنا محطة باريس وجرى لها هناك مع احد رجال الجمر ك ما جرى في
 المحطة الاولى . وكنت اذا انتقلنا من قطار الى آخر ارى كلاً من الركاب ويبدو
 صندوق صغير او كبير يمشي به متمشياً حتى النساء العجائز فعجبت من حرصهم على متاع
 الدنيا وهم لو سلموا امتعتهم الى رجال السكة الحديدية لما دفعوا عليها الا اجرة بخسة جدا .
 والانتقال من قطار الى قطار غير متعب لان المهلة كبيرة بينها وقد يسير القطار توفا
 ولكن ذلك ليلا ولم اشأ ان اسافر فيه وأحرّم من مشاهدة البلاد

ويظهر لي ان اهالي شرقي فرنسا لا يعتنون بالزراعة وغرس الحراج اعناء اهالي
 اواسطها لان جانباً كبيراً من جبالهم وآكامهم لم يزل وعوراً جرداء وقراهم صغيرة
 لا تقاس بيوتها بيوت القرى التي في وسط البلاد وعلى مقربة من باريس ومواشيهم غير
 كثيرة كما يظهر من عدد السائم منها في الحقول . ويكثر في بقرم اللون الابيض او
 الاشهب وهي كبيرة سمينة في الغالب . ومحطات سكة الحديد كبيرة رحبة فلا يزدحم
 الركاب فيها وبها كل ما يحتاج اليه المسافر من مأكل ومشرب حتى بيوت الغلايه يعنى
 بها كما لو كانت في انجر القصور . اما مركبات القطار نفسه فلا تفضل مركبات سكة
 الحديد المصرية ولا مركبات سويسرا وقد كنت اشعر احيانا كأنني في سفينة لتقاذفها
 الامواج لكثرة اضطرابها

ولما قربنا من باريس كثرت القرى والساكن والقصور والمعامل وزادت الحراج
كثافة واتساعاً . وكنا نجاري نهر السين مرةً ونفارتهُ أخرى وهو ينساب في تلك
المروج كسلسلة من اللجين الى ان تصترضهُ السدود التي اقامها الصّاع لرفع مائه الى
معاملهم فيرغي ويزبد كالبحار . ولم نلبث طويلاً حتى دخلنا ثغرة في السور المحيط بباريس
احاطة السوار بالمعصم وسرنا الى محطة طريق ليون احدى المحطات الست التي فيها وكان
ذلك بعيد العصر فرفع الخدمة اتعتنا الى المركبات بعد ان رآها رجال الجمر على ما
تقدم وذلك في خمس دقائق من الزمان وسرت الى المنزل الذي اخترتهُ تجاه حديقة
التويلر

ولم اطلب الراحة من عشاء السفر لاني لم اتعب من جئنا الى باريس قدر ما اتعب
من القاهرة الى حلوان فطفت في ساحة الكنكرد والأولى ان تسمى ساحة المسلة لانها
اعظم شيء فيها وقد احلها الفرنسيون على الرحب والسعة فنصبوها في قلب مدينتهم بل
في سويدها وحاطوها بتماثيل مدنهم حراماً عليها وبها لا يحصى من المصاييح لكي لا
تستوحش في ارض غربتها . وقد تحسرت على نقلها من امام هيكل لقصر لما رأيت اختها
هناك تدب الوحدة وتشكو الفراق ولكنني لما رأيتها هنا مكرمة المثوى مرفوعة المنزلة
واختها في قصر محاطة باكوام الردم والافذار زالت الحسرة وقلت ان كل مكان ينبت
العزّ طيب ووطنك حيث تكرم لا حيث تهان وما احسن ما قيل

فروض خيامك من ارض تهان بها وجانب الدل ان الدل يجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة فالمدل الرطب في اوطان حطب

والمسلة كاختها التي لم تزل في قصر حجر واحد من المرمر الاحمر من سخور اصوان
طوله ٢٦ قدماً انكليزية وعليها كتابات بالفن المصري القديم تشير الى فتوحات الملك
رعسيس الثاني . وقد بقيت في وطنها من ايام ذلك الملك العظيم وشاهدت دخول بلاد
مصر في حوزة الفرس واليونان والرومان والعرب وآل عثمان الى ان اهداها العزيز محمد
علي باشا الى الملك لويس فيليب سنة ١٨٢٠ نقلت الى باريس ونصبت في هذه الساحة
سنة ١٨٣٦ وبلغت نفقات نقلها ونصيبها مليونين من الفرنكات . وقد وضع لها الفرنسيون
قاعدة من المرمر الازرق علوها ١٣ قدماً وهي حجر واحد ايضاً ونصبوا حولها تماثيل
مدتهم ليون ومرسيليا وبوردو ونانتس وروان وبرست وليل وستراسبرج . اما ستراسبرج
فهي الآن لالمانيا ولذلك تجدد تماثلها محاطاً باكاليل الحداد

ولمذة الساحة تاريخ مشوم فقد اجتمع فيها سنة ١٧٧٠ خلق كثير من اهل باريس لمشاهدة الاحفال بزواج ابن ملكهم وحدث ما جفلمه فجهلوا وداس بعضهم بعضاً فقتل منهم الف ومئتا نس وجرح وتروض الفان . وسنة ١٧٩٣ حارت مجزراً اقتل الارباء فقطع فيها رأس الملك لريس السادس عشر والملكة ماري انطوانت حيث نصبت المسلة بعدئذ ومن تلك السنة الى اواسط سنة ١٧٩٥ بلغ عدد من قطعت رؤوسهم هناك الفتي نفس

وقد وقت امام المسلة طويلاً افكر في تاريخها وتاريخ الساحة التي نصبت فيها والاطوار التي مر عليها نوع الانسان والمهج التي ذابت ارضاه لاهل الجاه او حاقة من الطامعين فيه واقابل ما مضى بما هو جار الآت فارى المعنى واحداً تقريباً ولو تغيرت المظاهر . فالليونان اللذان اتقيا على نصب هذه المسلة قطرات دم من جبين العمال الفقراء مثل قطرات الدم التي قطرت من جباه المصريين حينما قطعوا هذه المسلة ونصبوها اكراماً لملكهم . والفرق بين الخالين ان ما تفعله الرعية الآن تفعله برضاها واما قبلاً فكانت تفعله مسخرة

وهذه الساحة بما فيها من الينابيع والتماثيل وما على جوانبها من الاشجار الباسقة اجل ما رأته عيني حتى الآن وفيها يركبان كبيرتان قطر كل منهما ٥٣ قدماً وفي كل منهما حوضان الواحد فوق الآخر وهما محاطان بتماثيل تمثل البحار والانهار وحاصلات البر والبحر وفي البرك تماثيل عذارى حاملات دلافين ينبع الماء من افواهها ويرتفع الى الحياض العليا وينصب الماء من افواه اسود ومن ميازيب في الحياض العليا وتسير حياض الماء كالسهم صعوداً ونزولاً والارض كلها مفروشة بالاسفلت فيمشي الناس فيها زرافات لا يخشون عنبراً ولا غباراً . ومضيت في الصباح الى برج اينفل وصعدت الى قمتها ورأيت المدينة كلها وما يحيط بها من المدن والساكن الى مسافة ثلاثين او اربعين ميلاً وركبت مركبة بعيد النظر طفت بها في كل الشوارع الكبيرة ورأيت جميع المباني الشهيرة من ظاهرها فقط . وهاءنذا اصف للقارىء الصورة المجلدة التي رسمت في ذهني من ذلك قبل ان آتية بوصف ما اشاهده فيها . وحيداً لو كان قلبي نوراً والقرطاس صفيحة من الزجاج المعد لتصوير الشمس فارسم عليه صورة حقيقية خالية من كل اطناب ومبالغة عارية عن تراويق الخيال

اما برج اينفل فآية من آيات الصناعة بل اعظم الاعمال الهندسية وقد طالما سمعت

عنه وقرأت المقالات الطويلة في وصفه ورأيت صورته على انحاء شتى لكن ليس الخلد
 كالعيان ولم يخظر بيالي قط ان اراه بالعظمة التي هو فيها . وقتما دخلت بناء من
 المباني الكبيرة الآرأيت اصفرا مما قدرته في ذهني الآ هذا البرج فاني رأيت قواعده
 اعظم مما كنت اظن بما لا يتقدّر وقد زادت دهشتي لما صعدت الطبقة الثانية ورأيت
 عظم اتساعها وكبير القناطر المحيطة بها بالنسبة الى ما تظهر به من الارض وكنت اشعر
 في صعودي بالرافعة كأن البرج يغوص في اعماق الارض والمدينة ترتفع الى اعالي السماء
 ومعلوم ان الهرم الاكبر من اهرام الجيزة ارتفاعه ٤٤٩ قدماً واما هذا البرج فارْتفاعه
 ٩٨٤ قدماً . وما يرى فيه عن بعد من الدقة والحفانة لا يبق له اثر والانسان قائم بازاء
 قائمة من قوائم الاربع او واقف على سطح من سطوحه وهو يرى الغرف الوسيعة بما فيها
 من الكراسي والموائد والمصاييح حتى اذا بلغ قمة البرج التي يباح له الارتقاء اليها وشاهد
 مدينة باريس تحته كالخريطة المرسومة والبلاد حولها الى مسافة اربعين ميلاً او أكثر
 من كل ناحية شعر بعزّة وانسراح كأنه تسلط على تلك البلاد الآ ان هذا الشعور لا
 يدوم لان الرياح تعصف شديداً مرة بعد أخرى تعود به من عالم الخيال الى عالم الحقيقة
 ويرى انه لا بد له من ان يتمسك بقبضته وردائه والآ عبثت بهما الرياح

اما الخائل التي حول البرج وبين القصور المحيطة به فمن ابداع ما نظمه البستاني .
 ولاهل باريس فنون بديمة في غرس خائلهم فيحوطنونها بنباتات متنوعة الازهار تحي ترى
 عن بعد كالسط الفارسية المنقوشة الحواشي

وشوارع باريس أكثرها واسع مفروش بالاسفلت او بالخشب فتسير عليها المركبات
 كأنها على بساط وثير وبعضها لم يزل مرصوقاً بحجارة صغيرة صقيلة برت جوانبها من
 الاحتكاك تسمع لعجل المركبات وحوافر خيلها طقطقة نصم الآذان ولا سيما مركبات
 الامتبيوس الكبيرة . وكل الشوارع نظيف يكس بل يغسل غسلاً يومياً . ولا ادري
 تعود الناس النظافة خاصتهم وعامتهم حتى لا يطرحوا في الشوارع شيئاً ولا قطعة ورق
 ام للشوارع خدام يطوفون دائماً دائماً ويجمعون كل ما يسقط فيها والغالب الاول لان
 الساحات العمومية والميادين الفسيحة نظيفة ايضاً نظافة الشوارع

والماء غزير جداً في باريس وهي كريمة به فتراه مطلقاً على جوانب الشوارع صانياً
 كالبلور ثم يجري الى مصارفها الوسيعة التي تسع اضعافه فينقل مع الافذار الى خارج
 المدينة . ومنظر المباني من الجهة التي دخلت منها المدينة حثير لا يروق في عين الناظر

ولكني لم اوغل فيها كثيراً حتى تجلّت لي عظمتها وفخامتها فان القصور والكنائس والمنازل تأخذ بالابصار بارتفاعها الشاهق وكثرة اعمدها وتقوشها وتماثيلها فبراهما الناظر جامعة بين الجلال والجمال ولكن جمالها مشوب ببعض الكدورة فان اللون الرمادي او الاسود المتغلب عليها ولا سيما على القديم منها يجعل جمالها كجمال رجل كهل عرك الدهر لا كجمال عادة حسنة . ومم وددت لو ان تماثيلها وعمدها وتقوشها كانت كلها من الرخام الابيض الصقيل فلا تؤثر فيها العناصر ولا يعلوها اغبرار الزمان وهيئات ذلك ايضاً في مدائن اوربا فان قصور البندقية من الرخام الابيض ولكن الزمان البسها ثوب الحداد . والمنازل كبيرة جداً تدل على ان كل منزل منها يمكنه كثير من العيال الا منازل الاغنياء لكن الهواء لا يفسد بالازدحام لكثرة الحدائق والساحات العمومية واتساعها الفائق على ما سيجي . وترى الصفار والمرضع والاطفال نافرين في تلك الحدائق ماث والوقا كاسراب القطا يلعبون فيروضون ابدانهم ويظفرون دماهم باستنشاق نقي الهواء والهواء النقي يهب فيها بين الشوارع والاحياء فيظفرونها كما تطهر المياه ارضها والمخازن والحوائط كثيرة جداً لكن لا يظهر ان حركة البيع والشراء كثيرة ككثرتها ولعل ذلك خاص بهذا الفصل . ولم اَرَ فيها مخازن امامها رواق جميل كالرواق الذي في ميلان او في البندقية . والرواق الاكبر في باريس ولعله الوحيد هو رواق شارع رينولي ولكنه ليس اعظم من رواق وجه البركة في القاهرة ولو كان اطول منه . وملابس الرجال والنساء والاولاد في غاية اللباقة وما لم يكن فاخراً منها فهو نظيف لا تأفف من الجلوس مع لابس في مركبة واحدة

هذا مجمل الصورة التي رسمت في ذهني في اليوم الاول من دخولي هذه المدينة الزاهرة

٩

معابد باريس

قصرت الكلام في رسالتي الماضية على ما شاهدته في ظاهر باريس قبل ان دخلت مبانيها الفخيمة ورأيت ما فيها من التحف والنقائس . وهاءنذا اصف ما رأيت من رأى العين على ما سمحت لي به الفرصة الوجيزة . وقد قدمت المعابد لانها من اقدم مباني المدينة وارفعها مناراً ولان للعبادات المقام الاول في تاريخ الانسان وهي الحاكم المطلق على الاميال والمواطف وقلما حاول احد زعزعة اركانها ونزع صولتها قبل اهل هذه المدينة . ولم في ذلك اليد الطولى حتى لقد يظن من يطالع تاريخ الثورة الفرنسية انه لم

يبقى في باريس معبد لكنة اذا جال في انحاءها رأى الامر على ضد ما ظن بل رأى قبر فولتير في كنيسة القديسة التي وُضعت باريس تحت حمايتها من قديم الزمان فاعجب لهذا التضاد الذي فلما يكون في غيرها . واول كنيسة دخلتها رأيت فيها جمهوراً من المسلمين رجالاً ونساءً شيوخاً وكهولاً واحداثاً ولم يكن اليوم احداً ولا عيداً فقلت للدليل الذي كان معي اراكم متدينين يا اهل باريس فانفض رأسه وقال لا تفرك الظواهر . ثم جعل يسرد لي جملاً كثيرة من اقوال يختر في كتابه الحياة والحركة ومن اقوال غيره من المعطلة واللاادريّة في نفي النفس والخلود وبطل الاديان . فوجدت انه على ما يد من الفقر وسوء الحال قد طالع كثيراً من الكتب التي لا اعرف اسماءها او سمع خطباً في هذه المواضيع من خطباء بارعين فيها فلم استغرب ذلك منه لان البلاد التي تلد مثل رجال الثورة الفرنسيّة ورجال الكومون لا يستغرب ان يكون فيها كثيرون من مثل هذا الرجل

واشهر معابد باريس كنيسة نوتردام ولها الشأن الاكبر في تاريخ الثورة السياسية والعقلية وفيها اكثر الذخائر والتحف الدينية . وهي من حيث البناء والهندسة لا ترضي الناظر اليها ولا سيما لانها في بقعة منخفضة حتى كدت اعدل عن الدخول اليها لولا حاجة الدليل فلما دخلتها رأيت فيها من احكام الهندسة وفخامة البناء ونقيس التحف ما يليق بها . وقد وضع اساسها سنة ١١٦٣ ولم يتم بناؤها حتى القرن الثالث عشر وهي ليست اكبر كنائس باريس فان كنيسة سانت سليس طولها ٤٦٢ قدماً وعرضها ١٨٢ قدماً وطول كنيسة نوتردام ٤١٧ قدماً فقط وعرضها ١٥٦ قدماً وبنائها بالشكل القوطي وفي واجهتها كثير من التماثيل القديمة التي صيرت على انياب الدهر ونيران الثورات الفرنسيّة ستمئة عام . وعلى طرفي الواجهة برجان عظيمان ارتفاع كل منهما ٢٢٣ قدماً وفي الجنوبي منها جرس من اكبر الاجراس التي في المسكونة ثقله ١٦ طناً اي نحو ٣٦٠ قنطاراً مصرياً . والبرجان مقطوعان من اعلاها ليس فوقها قبب مستدقة كابرّاج سائر الكنائس ولذلك لا يروق منظرها للرأي . ومن غرائب هذه الكنيسة ان فيها كوتين مستديرتين فطر كل منهما ٤٢ قدماً . وفي خزائنها من الذخائر والجواهر ما يعجز عن وصفه القلم وتقدر قيمته بملايين كثيرة من الفرنكات هناك حلال كنيوتية مذهب ومرصعة بالاملاس والياقوت وتيجان وصلبان وكروس واشعة افرع الصنّاع جهدهم في صوغها وترصيعها بكل حجر كريم ومنها شعاع كبير كالشمس لا ترى فيه الا حجارة

الاملاس وهناك الطيلسان الذي لبسه نوليون الاول والطيسان الذي لبسته زوجته
حينما توج نفسه امبراطوراً وتوجها معه واثواب بعض الاساقفة الذين قتلوا وهم يردعون
الثائرين وهي ملخعة بدمائهم

وغني عن البيان ان كنيسة باريس الاولى يجب ان تجوي ما لا يحويه غيرها من
الصور والتماثيل ولا سيما بعد ان مر عليها سبعة عام لكن الناظر اليها لا يرى فيها قدر ما
ينتظر لان جانباً كبيراً مما كان فيها تلف في الثورة الفرنسية. فقد اقر رجال تلك
الثورة سنة ١٧٩٣ على خرابها ثم عدلوا عن ذلك واكتفوا بائتلاف ما فيها من التماثيل
وجعلوها معبداً لمذهبهم الجديد الذي استنطروه وسموه معبد العقل ووضعوا فيها تماثيل
الحريّة بدل تماثيل مريم العذراء وجعلوا يفتنون فيها اغاني الحرس الوطني الحماسية بدل
الاغاني الدينية واقاموا فيها نصبا وضعوا عليه مشكاة متقدة سموها مشكاة الحق وانشأوا
فوقه هيكلأ صغيراً يوناني الشكل سموه هيكل الفلسفة ونصبوا فيه تماثيل فولتير وروسو
وغيرهما من كبار الكتاب ومثلوا العقل بمثال امرأة جميلة ونصبوه على عرش في هذا
الهيكل وعبدوه فيه. وكان العذارى يلبس ثياباً بيضاء ويحملن مصابيح بايديهن
ويظفن حول هذا الهيكل. ويظهر لي مما يرى في باريس من تماثيل النساء العاريات
وصورهن في دور التحف والقصور والمنزهات العمومية والخصومية والمخازن والحوانيت
انه لو أبيع الآن لاهالي باريس ان يعبدوا ما يشاؤون لاقام أكثرهم تماثيل امرأة عارية
وعبدوه. ومن الغريب ان النساء والعذارى ينظرن الى هذه التماثيل ولا يباليين ولا
تعلوهن حمرة الخجل. وقد جاهر اشهر كتائهم بان ذلك واجب. ورأيت لاحدى
الكاتبات الاميركيات كلاماً مسهباً في هذا الموضوع قالت فيه " انه اذا اعتاد فتياتنا
وفتياتنا ان ينظروا الى جسم المرأة العاري كما ينظرون الى ايديهم وملابسهم ولا يحسوا
في ذلك شيئاً يستحي من النظر اليه زال الميل الى ارتكاب المحرمات لان احب شيء
الى الانسان ما منع "

وأقلت كنيسة نوتردام في اواسط سنة ١٧٩٤ وبقيت مقفلة الى سنة ١٨٠٣
وحينئذ فتحها نوليون بونايرت وأعيدت كنيسة مسيحية كما كانت. ولما قويت شوكة
الكومون سنة ١٨٧١ استولوا عليها وجعلوها مخزناً حريباً ثم لما غلبوا على امرهم اضرمو
فيها النار ولكن جنود الحكومة ادركتها حالاً واطنأتها فنجت من الحريق
ومن الكنائس المشهورة في باريس كنيسة مريم المجدلية (مدلين) وقد استوقفتني

لانها شبيهة ببيكل ببلك الصغير وهي من المباني الحديثة وضع اساسها الملك لويس الخامس عشر سنة ١٧٦٤ ولم يشرع البناء في بنائها حتى سنة ١٧٧٧ فلما قامت الثورة لم يحاول الثائرون تخريبها لانها لم تكن قد تمت . وعدل نبوليون بونايرت عن جعلها كنيسة واراد تسميتها ببيكل المجد ولكن الملك لويس الثامن عشر ردّها كنيسة وتمّ بناؤها سنة ١٨٤٢ وقد بلغت نفقات البناء ثلاثة عشر مليوناً من الفرنكات اي خمس مئة الف جنيه مصري وهي بالشكل الروماني محاطة برواق من الاعمدة الفخيمة بالشكل الكورنثي . وطولها مع الرواق المحيط بها ٣٥٤ قدماً وعرضها ١٤١ قدماً وارتفاعها مئة قدم وهي مبنية على دكة ارتفاعها ٢٣ قدماً . وليس في جدرانها كوى فنار من سقفها بكوى كبيرة فيد . واعمدها لا تقاس باعمدة ببلك ولا سيما لان العمود من اعمدة ببلك من حجرين او ثلاثة واما هذه الاعمدة فمن حجارة صغيرة مبنية بعضها مع بعض فتستخرجها العين معها كانت كبيرة . وظاهر الكنيسة من حجر باريس الرمي الصلب وداخلها من الرخام والمرمر البديع الالوان والاشكال ولها باب من البرنز ارتفاعه ٣٤ قدماً وعرضه ١٦ قدماً

ومن الكنائس الجميلة كنيسة سان روش وهي على مقربة من قصر اللوفر بنيت بين سنة ١٦٥٣ و ١٧٤٠ ورواقها الاوسط مرتفع كثيراً عن الرواقين اللذين على جانبيه وفيه كوى كبيرة يدخل منها النور غزيراً فيكون به منظر الكنيسة بهيماً جداً ولا سيما لان اسفل جدرانها من المرمر الملون وفيها تقام أكثر الحفلات الدينية في الاعياد الكبيرة . واماها نشبت الواقعة الكبيرة بين بونايرت وجنود الملكيين سنة ١٧٩٥ فنظب عليهم ومهد لنفسه سبيل الملك والمجد الذي انتهى بغصة الغربة والقهر

ولا يظهر ان كنائس باريس كثيرة بالنسبة اليها فانه ليس فيها أكثر من خمسين او ستين كنيسة كبيرة مع ان فيها نحو مليونين ونصف مليون من السكان ولا تذكر كنيسة من كنائسها في جنب كنيسة ميلان او كنيسة البندقية مع ما للفرنوسيين من الملك الواسع والشرف الباذخ والمجد الاثيل . واذا صحّ ان نستنتج شيئاً من ذلك استنتجنا ان الدين غير منسلط على النفوس في هذه البلاد تسلط عليها في ايطاليا . والظاهر ان اهالي باريس افرغوا جعبة تحمسهم الديني في مذبحه مار برنلماوس ولذلك لا يذكرون تلك الحادثة الشنقاء الآن الا بالندامة والاسف

